الدولة الفلسطينية عند قيامها !

ان «خصوصية» الصراع حول القدس، المرشح لأن يستمر طويلاً، ويخلع ثوباً ليلبس آخر، تبرر، بل أنها تحتم، اتخاذ اجراءات خاصة لخوضه وادارته، ليس أكثرها وجود ممثلين منتخبين لسكان المدينة العرب، أيا كان مستوى تمثيلهم. بل ان وجود مثل الممثلين هؤلاء، الذين يستطيعون التعبير عن موقف سكان المدينة، بمدى كبير من المصداقية، باعتبار انهم منتخبون، قد يبدو مفيداً للغاية، اذ قد يتحولون الى مشاعل منيرة، لا غنى عنها، في الليالي الظلماء، التي قد تحاك خلالها المؤامرات أو، على الأقل، تعقد الصفقات بشأن المدينة.

والتخوف من عقد صفقات بشأن مصير القدس، ليس فقط على الصعيد الاقليمي، بل العالمي أيضاً، بصورة يمكن ان تنتقص من الحقوق الفلسطينية، وبالتالي العربية، في المدينة، ليست مجرد أوهام، بل ان لها من الخلفيات والمواقف السابقة ما يبررها على أرض الواقع. فصحيح، طبعاً، ان العالم بأسره، شجب، ولا يزال يشجب، الاجراءات الاسرائيلية بشأن القدس، ويرفضها، ولا يعترف بها. ولكنه صحيح، أيضاً، ان هذه المواقف ليست ناجمة عن الوقوف الى جانب العرب وتأييدهم لوجهه تعالى، بقدر ما هي نابعة، أيضاً، من اطماع خاصة لدى العديد من القوى العالمية التي تهدف الى ايجاد موطىء قدم لها في القدس، بواسطة تدويل المدينة. ومشروع تدويل مدينة القدس وضواحيها، التي كانت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قد اقرته في حينه، يوم اعتمدت، سنة ١٩٤٧، قرار تقسيم فلسطين واقامة دولتين، عربية ويهودية، عليها، لا يزال ماثلاً في الأذهان. صحيح ان اسرائيل والاردن قد تمكنتا، من خلال توافق غير معلن فيما بينهما، من افشال تنفيذ هذا المشروع عندما طرح جدياً على بساط البحث في الامم المتحدة في أواخر سنة ١٩٤٩ وأوائل سنة ١٩٥٠، وذلك بقيام كل منهما باتخاذ ما رأته مناسباً من الاجراءات العملية لضم الجزء الذي سيطرت عليه من المدينة اليها، واعتباره جزءاً من أراضيها. ولكن الصحيح، أيضاً، هو ان ذلك المشروع لا يزال قائماً، ويمكن ان يصار بعثه في أي وقت، اذا كانت الظروف ملائمة لذلك. وكذلك صحيح، أيضاً، ان «توافقاً» اردنياً ـ اسرائيلياً بشأن القدس يمكن ان يُبعث مجدداً. والتلميحات العديدة المختلفة في هذا الشأن كانت، ولا تزال، تصدر من هنا وهناك. ويبدو انه في مواجهة مثل هذه المشاريع وافشالها ليس هنالك أكثر نجاعة وفعالية من وجود ممثلين منتخبين لسكان المدينة العرب، يستطيعون القول، وعن حق، أنهم، بمسلميهم ومسيحييهم، «ينوبون» عن العالمين، الاسلامي والمسيحي، ويحتفظون، بالتالي، بالحق في المدينة داخل البيت الفلسطيني، دون غيره. بل ان مثل اولئك الممثلين يستطيعون منع عقد صفقات جانبية، في هذا الصدد، مع هذه الدولة العربية، او تلك.

وأياً كانت، على كل حال، ماهية المشاريع المقترحة لحل مسألة القدس، وكائناً ما كانت نهايتها، من الواضح انه حتى يحين الظرف المناسب لذلك، سوف يمر كثير من الوقت الضائع، الذي لا مانع من الاستفادة منه، بواسطة الانتخابات، أو غيرها.